

خاتمة المستدرک

[197] والانواع، من خطب وكتب، ومواعظ وحكم، وبوبناه أبوابا ثلاثة، يشتمل على هذه الاقسام مميزة مفصلة، وقد عظم الانتفاع به، وكثر الطالبون له، لعظيم قدر ما ضمنه من عجائب الفصاحة وبدائعها، وشرایف الكلم ونفائسها، وجواهر الفقر وفرائدها. وكلامه صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا من علو طبقتة، وخلو طريقه، وانفراد طريقته، فإنه إذا حوّل ليلحق غاية من أدنى غايات القرآن، وجد ناكسا متفاعسا، ومقهقرا راجعا، وواقفا بليدا، وواقعا بعيدا، على أنه الكلام الذي وصفناه بسبق المجارين، والعلو عن المسامين. فما طنك بما دون ذلك من كلام الفصحاء، وبلاغات البلغاء، الذي يكون بالقياس إليه هباء منثورا، وسرابا غرورا ؟ ! وهذا الذي ذكرناه أيضا من معجزات القرآن إذا تأمله المتأمل، وفكر فيه المفكر، إذ كان الكلام المتناهي الفصاحة، العالي الذروة، البعيد المرمى والغاية إذا قيس إليه وقرن به شال في ميزانه، وقصر عن رهانه، وصار بالاضافة إليه قالصا بعد السبوغ، وقاصرا بعد البلوغ، ليصدق فيه قول أصدق القائلين سبحانه إذ يقول: * (وإنه لكتاب عزيز * لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميدا) * (1). وقد ذهبنا من غرض المسالة بعيدا، للداعي الذي دعانا، والمعنى الذي حدانا، ونحن نعود إلى عود القول فيها باذن الله. وقد كان بعض من رام كسر المذهب الذي - تقدم ذكرنا له - عن المبرد، واختيارنا طريقته فيه، سألنا عن قول الله سبحانه: * (هذا بلاغ للناس ولينذروا به) * (2) فقال: قد علمنا أن هذه (اللام) لام كي، فما معنى إدخال

(1) فصلت 41: 41 - 42. (2) إبراهيم 14: 52. (*)